من وجودنا . وان البنية العلمانية للدولة لا تنفي اطلاقا استلهام الحياة الروحية لعيش كريم وبناء المدنية الجديدة في هذه الديار. فاذا نحن تنكرنا للسلفية و«الوطن المسيحي» في لبنان فلا نستطيع أن نكافح فكرة الوطن اليهودي في فلسطين اذا نحن قبلنا تنظيما دينيا ذي قطر . لا يمكن أن تنكر على عدوك سلاحا أنت تستعمله . من هذه الزاوية كانت المسيحية العربية أختا مقلقة ولكن هذا الاقلاق لا بد للعرب جميعا أن يرحبوا به اذا شاؤوا الخروج من التراكمية المتحجرة البليدة . انها حاملة توثب وطاقــة تطهير اذا استطاعت أن تصبح كثافة نور وقوة تطلعات توتر فينا قوة الخلق المرتقبة للتفجر .

أمــام هذه الآفاق يتلاشى التساؤل حول شرعيــة العنف يمارسه القسيسون . فالانسان ، في حركة امتداده وتصاعده التأليهي قد يختار اللاعنف عندما يكون تعبيرا عن لقائه بالله اي مسلكا من مسالك القوة . اللاعنف ، في أعماقه والتزاماته المصلية كبير لانه يقين اولئك الذين يرون أنهم شادون الارض بالسماء وان هذه تنحني رحمة منجية . اللاعنفيون الاكابر قادرون على ترويض الشراسة . اختيارهم ارتضيه حتى الحب .

كن الشهادة لها وجه آخر ، وجه القدرة تمارسها أصابعك والبدن . قد تختار ! الجسد سبيلا مؤقتا لقمــع الشر . العنف ليس بمذهب . وان مذهبناه فهو ان فسادنا . انك أنت تفتديه بالحب . أنت مكره عليه أحيانا بعد تأمل وتمزق. المقاومة مأساة يتحرر من كذب البطولة ، من انتفاخ البطولة . انها أمــر لقى عليك . قد تأتي اليه من واقع قداسة ، من موقف الحوار الذي لك مع حر دعاء . وليس لاحد أن يدينك اذا تراءى لك أداة الشهادة تارة صليبا وطورا . ليس لي أن أفلسف موقف كميليو توريس لان تراث كنيستي أصلاً تراث غير كن لي أن أرى ، على ذلك ، أن الرجل أحس نفسه في طاعة ايمان وشاء « هذه أراد أن يمجد الله بها » .

ي الاحظ أن الكنيسة الشرقية نفسها اخترق رجالاتها هذه القاعدة المرة تلو ر أمة وان قديسيها وقفوا موقف الكبر والعزة القومية ضد التتار والافرنج في ...سيا المقدسة وضد الاقطاع في رومانيا وقاوموا التــرك في السلطنة العثمانيــة والصهيونية في فلسطين . وحدوا أنفسهم مع شعوبهم ولا حرج عندي ان يقفــوا في معسكرين مضادين اذا اقتنعوا بعدالة معسكرهم . والمأساة ليست بأن يقفوا ، هنا وثمة ، بآن معا ولكن المأساة الا يفهم فريق منهم أن العدالة هناك .

ومما لا شك فيه أن كبار الرهبان الذين الهموا الثورات ــ وليس لهــا اسم آخر بالحقيقة ــ لم يكونوا منطلقين من عصبية قومية ولكنهم كانوا آتين من الانسان ومن آلامه . وفي بقعة المعمورة التي فيها يعيشون يرى هذا حسا قوميا بما في هذا التعبير من سمو . وهذه الطبيعة من لحم ودم لا يزالان طريقنا الى هذا الانسان الذي مــن أرضه يرتقي الملكوت ومن اوجاعه يتمتم الفرح . ليس لنا سبيل الى العافية الا اذا ضمدنا الجراح ولازمناها بالفهم .

الفهم الاخير يتنزل علينا من مجد الضابط الكل كما يتجلى على القبة البيزنطية . هذا ما تاق اليه السيد ايلاريون كبوجي لما أراد تزيين بيعته المقدسة برسوم جدارية . لقد شاءت الحياة أن يترجم هذا المجد خارج الهيكل ، في تلك المعابد الحية التي هي مشردو